

ثيودور هرتزل باع الأرمن للعثمانيين فكانت مذبحة الإبادة...

إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

خلال الأسبوع الأخير من نيسان الماضي، احتقلت أرمينيا بالذكري الممة للمذبحة التي ارتكيبها العثمانيون بحق الشعب الأرمني، وسط صمت خيمَ على معظم العالم لأكثر من قرن بقليل. أما هذه السنة، فنشهدت هذه القضية تطورا لافتا، إذ تضامن عدد كبير من الدول مع أرمينيا، لا سيما الفاتيكان، إذ اعتبر البابا أنّ هذه المذبحة هي جريمة إبادة شعب كامل الأولى، مقدّما إياها على ما يسمى «الهولوكوست»، ما أثار تأثره الصهائنة.

رجب طيب أردوغان اغتاط من كلام البابا، لا بل هاجمه بغضب قائلاً: «إن لعب رجال الدين دور مؤرّخين، فتكون نتيجته التحريف وعدم الواقعية». واستخدم أردوغان لهجة مشدّدة في الردّ على كلمة البابا، داعيا إيّاه إلى «عدم تكرار الخطأ» بحسب تعبيره. كما استدعت تركيا ممثل الفاتيكان فيها إلى وزارة الخارجية لإبلاغه احتجاجها، كما استدعت سفيرها من الفاتيكان.

لكن ما خفي كان أعظم، فبين أيدينا اليوم، تقرير كتبه راشيل درور لـ«مورن أوف الآباما»، وتتحدّث فيه عن صفة بيع الأرمن، التي كان طرفاها، ثيودور هرتزل. مؤسس الحركة الصهيونية. والسُلطان عبد الحميد الثاني. وقضت هذه الصفة على أن يبيع هرتزل الأرمن لعبد الحميد، فيما يبيع عبد الحميد فلسطين لليهود.

وندعّم هذا التقرير بمقالين آخرين مرتجلين به، الأول كتبه إليي كوهين لصحيفة «إسرائيل اليوم» قبل شهر واحد من إحياء أرمينيا ذكرى الإبادة، والثاني كتبه وديع عواودة لصحيفة «القدس العربي» في الثالث والعشرين من نيسان الماضي.

كما ننشر اليوم تقريرا ثانيا، يتضمّن نقداً لمراسلي بعض الصحف الأميركية في لبنان إبان عدوان تموز 2006، وكيف كان هؤلاء يفبركون الأخبار والتقارير كرمي لعيون «إسرائيل»، لا بل كانوا مطواعين في نشر التقارير الملفقة من قبل «إسرائيل».

نبدأ بالتقرير الأول، الذي يكشف دعم مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل وحشية السلطان العثماني ضدّ الأرمينيين، مؤمنا أنّ ذلك من شأنه أن يدفع بالسلطان إلى بيع الفلسطينيين لليهود.

كتبت راشيل درور:

طغت المسألة الأرمينية على الحركة الصهيونية منذ عملية القتل الجماعي بحق الأرمينيين من قبل الأتراك منتصف 1890، وذلك قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول. ارتكزت استراتيجية هرتزل على فكرة إقامة تبادل على الشكل التالي: يسدّد اليهود ديون الدولة العثمانية الهائلة، في مقابل الحصول على فلسطين وتأسيس دولة يهودية هناك، مع موافقة القوى الكبرى. عمل هرتزل جاهداً على إقناع السلطان عبد الحميد الثاني للقبول بهذا الاقتراح، لكن من دون جدوى. وكان وكيل هرتزل الدبلوماسي فيليب ميشال نيفليسكي قد نبّضه قائلاً: «قدم له الدعم السياسي في المسألة الأرمينية بدلاً من مذء بالمال، وسيكون ممتازاً لك ويقبل عرضك. جزئياً على الأقل». فاقول الأوروبية المسيحية كانت مستاءة للغاية من قتل المسلمين للأرمن، وتأسست جمعيات عدّة لدعم قضية هؤلاء في عدد من البلدان، وقدمت أوروبا أراضيهام لتكون مسرحاً لقياديّ الثورة الأرمينية، فأصبح من المستحيل أن تقدم تركيا على طلب قروض مالية من المصارف الأوروبية.

تلقّف هرتزل هذه الفروضة بشغف، شعر أنه سيكون من الملائم جدا . وبكافة الوسائل - الإسراع في إنشاء دولة يهودية. وهكذا، وافق على أن يكون أداة في يد السلطان، من خلال محاولة إقناع القوار الأرمينيين بأنهم لو سلّموا أنفسهم للسلطان، فسيسعى إلى تحقيق بعض مطالبهم. وحاول هرتزل أيضاً أن يظهر للعرب أن تركيا أكثر إنسانية مما يظنون، وأنه لم يكن لديها خيار في التعامل مع الثورة الأرمينية سوى بتلك الطريقة، وأنها تتطلع إلى وقف إطلاق النار والتوصل إلى تسوية سياسية. وبعد جده جيهد، نجح هرتزل في لقاء السلطان وذلك في 17 أيار عام 1901.

أهل السلطان خيرا في هرتزل، وهو الصحافي الشهير الذي قد يكون له تأثير إيجابي في مجال تحسين صورة الإمبراطورية العثمانية المسلمة في الغرب. وهكذا، أطلق هرتزل حملة مكثفة لتحقيق أمنيات السلطان، مكرّسا نفسه على أنه وسيط للسلاسل. أقام علاقات وثيقة، وعقد اجتماعات سرّية مع القوار الأرمن، في محاولة منه لتهيئة عمل في فلسطين، أعلن هرتزل - بعد البدء بعقد المؤتمرات الصهيونية السنوية - أن الحركة الصهيونية تتعرّع عن إعجابها وامتثالها للسلطان، على رغم معارضة كبيرة من قبل عدد من الممثلين المشاركين هناك.

أما الخصم اللدود لهرتزل في كل هذا، فهو برنار لازار، المنفق اليهودي اللغزبي، اليساري، الصحافي المعروف والنقاد الأدبي، المؤيد للقضية الأرمينية والدافع الشرس عن قضية درايفوس*. غضب للغاية من نشاط هرتزل، وكان أن استقال من الجمعية الصهيونية وتخلّى تماما عن نشاطاته فيها عام 1899. نشر لازار رسالة مفتوحة إلى ثيودور هرتزل، يسالها فيها: كيف يمكن لأولئك الذين يزعمون كذبا أنهم يمثلون الشعب القديم الذين كتبوا تاريخهم بالدم، أن يمدوا يد العون والمساعدة للمجرمين والقتلة، من دون أن نسجم صوت مندوب واحد في المؤتمر الصهيوني يصرخ محتجا على هذه المؤهّلة؟

إنها دراما هرتزل، الزعيم الذي أخضع الاعتبارات الإنسانية وخدم السلطات التركية، بهدف تحقيق هدفه الأسمى - إقامة الدولة اليهودية - إن هذه الدراما لمجرد توضيح صريح عن أحد أوجه الصراعات المتكررة بين الأهداف السياسية والمبادئ الأخلاقية. طالما واجهت «إسرائيل»، مثل هذه المعضلات، طالما يتضح في موقفها المزمّن من عدم اعترافها بحدوث المجازر بحق الشعب الأرمني، وكذلك في بعض القضايا الحديثة التي تعكس التوتر في مواقفها والتناقض بين قيمها الإنسانية والاعتبارات السياسية والواقعية.

!

على «إسرائيل» أن تعترف بالمذبحة الأرمينية!

كتب إيدي كوهين** في صحيفة «إسرائيل اليوم»:

قدم مؤخرا 44 عضوا في الكونغرس الأميركي مشروع قرار يدعو إدارة الرئيس أوباما إلى الاعتراف بالمذبحة الأرمينية بأنها «إبادة شعب». ليس واضحا متى سيتم طرح هذا المشروع للتصويت عليه، لكن من الواضح أنه عما قريب قد تنضم الولايات المتحدة إلى 21 دولة تعترف بشكل رسمي بإبادة الشعب الأولى التي حصلت في القرن العشرين.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، شنت الإمبراطورية العثمانية حربا على روسيا. الأرمن أرادوا تحقيق طموحهم القومية وإقامة منطقة حكم ذاتي أرمينية داخل الإمبراطورية، اعتبروا كخونة ومتعاونين مع الروس - لدى حزب «الأتراك الشباب» - الحزب التركي القومي الذي أطاح السلطان عبد الحميد الثاني. كانت هناك خطط مغايرة بالنسبة إلى لأرمن الموجودين على أراضيهم. عمل الحزب على «تركتنة» الأراضي الموجودة تحت سيطرتها، ومعنى ذلك القيام بتطهير عرقي للأقلية المسيحية.

المسؤولون عن الإبادة الجماعية هم قيادة الحزب، وزير الداخلية محمد طلعت باشا ووزير الحرب اسماعيلي أنور باشا. قادة الحزب أمروا بإقامة منظمة شبه عسكرية، «المنظمة الخاصة»، من أجل حل «المشكلة الأرمينية». المهمة التي ألقيت على عاتق هذه المنظمة كانت تدمير الأرمن وطردهم. تم تجنيد سجناء ومجرمين ممن أفرج عنهم بشكل خاص إلى هذه المنظمة من أجل تنفيذ الخطة.

البناء

تحقيقات

«إسرائيل»



مؤكداً على فقدان عدالة عدم هذا الاعتراف. وتابع في مقاله: «إسرائيل قامت على أساس إبادة شعب منهجي هو الأكبر في التاريخ ولذا من واجبا الاعتراف بمذبحة شعب آخر. لا اعتقد أن الاعتراف بمذبحة الأرمن يقلل من قوة المحرقة ووزنها».
يشار إلى أن تركيا تتنكر حتى اليوم لهذه المذبحة وتدعي أن ليس هناك معلومات موثقة حول حصولها، وتعتبر أن ما جرى حوادث عدة شهدتها الحرب العالمية كما يحصل في الحروب عادة.

تلفيات مراسلي «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست»

كم من الصعب على الجيش «الإسرائيلي» شنّ حرب غير مبرّرة على جاره اللبناني، معتبرا أنه يتعرّض لهجمة بربرية، حاشدا الدعم الدولي ومقدّما الاعتذار المسيق، ومبرّثاً نفسه من تهمة قتل المدنيين الأبرياء! يبدو أن كل هذا يتطلب فقط اتصالا واحدا مع صحيفة «نيويورك تايمز».

هذا صحيح، فالصحيفة الأكثر نفوذاً في العالم، والتي نشرت لتلقو ملامستوحى بالكامل من أنعاءات مزيفة، ويروي جميع تفاصيل المطالبات والتحقيق والمحاربة من مصادر عسكرية «إسرائيلية». وهذا المقال بعنوان «ترى إسرائيل أن مواقع حزب الله تعرّض المدنيين للخطر»، لا يوجه أيّ شك جديّ أو مسؤولية حقيقية حول ادّعاءات المؤسسة العسكرية المشاركة في الحروب التي ذهب ضحيتها عشرات، لا بل آلاف المدنيين على مرّ عقود من الزمن.

تحدّر الكاتبة إيزابيل كريشرنر مما تذهب إليه «إسرائيل»، من أن عدداً من المدنيين اللبنانيين قد يُقتلون، وأنه لا يمكن اعتبار ذلك خطأ «إسرائيليا». لكن هناك المزيد. فعن طريق مدح هذه المطالبات العسكرية التي لم يتّخّ التحقيق منها في سياق التقرير، تذهب كاتبة «تايمز» بعيدا في شرعنة المزيد من المحتويات التي قد يؤمن بها عدد من القراء من دون أن يفحصوها جيدا.

ومع ذلك، فإن تحفّكا أساسيا للمزعام المنشورة في المقال يظهر ادّعاءات «إسرائيل» الرسمية الكامنة وراء معظم محتواه.

أي 25 من أصل 35 فقرة منه، بما في ذلك شرح لبعض «الأدلة» التصويرية التي قد تؤمنها الاستخبارات «الإسرائيلية»، على

الفور من دون الحاجة إلى طرح أيّ سؤال أو تفسير. حتى مع قراءة الفقرة «13»، والتي تُشعر حين قراءتها ببعض الغموض «المتعاطف» مع حزب الله في الوقت عينه. فقرة واحدة فقط تلقي باللائمة على حزب الله.

تنشر «نيويورك تايمز» الدليل «الإسرائيلي» حول «الدروع البشرية» مع تقديم بعض الشروحات.

يستند هذا المقال في غالبيته - وبشكل مباشر - على مزاعم «إسرائيلية» لا جدال فيها. غير أن هذا لا يشمل عنوانا رئيسيا يشكّل البنية الأقوى لهذه المادة والتي ترتكز إلى الدعاية العسكرية «الإسرائيلية»: «المشاعر» مع حزب الله هذه الصفة الكبيرة: ما الذي يحدث عندما يروي الجيش قصة إخبارية ويشهرها على نطاق واسع في أكثر صحف العالم قراءة واحتراما؟

والجيش «الإسرائيلي» - فخير من الجيوش - يُفترض به اختلاق المزيد والمزيد من الأساطير حول العدو بهدف زيادة معدّلات النجاح في ساحات المعركة. ومن أبرز عناصر هذه الدعاية استخدام «الدروع البشرية». ادّعاء من شأنه تصوير

«إسرائيل» على أنها في حالة حرب مع عدوّ بربري همجيّ لا يخطر أدنى احترام لحياة الإنسان. تشدّد الصحافية كريشرنر

يهود حكومة «إسرائيل» بالاعتداء بالبحر الأعظم بابا الفاتيكان وبثلاث وعشرين دولة أخرى بالاعتراف بمذبحة الشعب الأرميني التي تحل ذكرها السنوية المثة اليوم. ووقع عشرات المحاضرين والفنانين والجزالات السابقين على عريضة تدعو «إسرائيل» للتوقف عن عدم الاعتراف بمذبحة الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى. وقال المنقوفون اليهود في عرضتهم إنهم كيهود تعرض أبناء شعبهم للمحرقة وبكافحون محاولات التنكر لها ملزومون بإبداء حساسية خاصة لكراهة الآخر. وبهذه المناسبة قرعت كنائس القدس (28 كنيسة) أجراسها 100 مرة أمس بالتزامن من أجل إحياء ذكرى مذبحة الأرمن على يد الأتراك التي راح ضحيتها نحو مليون ونصف المليون إنسان.

ويجيي الأرمن ذكرى المذبحة في كل 24 من شهر نيسان من كل سنة، وهو اليوم الذي كما يقولون، ارتكب الأتراك فيه الاعتداء الكبير على الأرمن في 1915 من أجل تطهير عرقي في الإمبراطورية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى. وبهذه المناسبة كان الحبر الأعظم قد استخدم مصطلح «إبادة» الشعب الأرميني للمرة الأولى بتاريخ الفاتيكان، وقال إنها كانت عملية إبادة شعب الأولى في القرن العشرين لتتها محرقة اليهود ومذابح ستالين في الاتحاد السوفياتي سابقا.

لكن «إسرائيل»، لم تعترف يوما بمذبحة الأرمن لعدة دوافع منها تحاشي المساس بعلاقتها التاريخية مع تركيا قبل تدميرها بعد حادثة أسطول الحرية لرفع الحصار عن قطاع غزة في أيار 2010.

لكن «إسرائيل» تحاشت ذلك أيضاً في نطاق سياستها باحتكار صورة الضحية في العالم وخدمة لمزاعمها بأن التاريخ لم يشهد مأساة إنسانية بحجم المحرقة التي ارتكبتها النازيون خلال الحرب العالمية الثانية. وحتى الآن تلتزم «إسرائيل» الصمت رسمياً حيال هذه المسألة بيد أن الناطق بلسان وزارة خارجيتها علمنوفيل نحسون يحاول تخفيف موقف «إسرائيل» غير الإنساني وتلطيفه بالقول إن «موقف إسرائيل حيال مأساة الأرمن لم يتغير. نحن نبدي تضامنا مع الشعب اليهودي وحكومته ومن الأجدر أن ينشغل المجتمع الدولي بمنع ماس إنسانية بالمستقبل».

يشار إلى أن أعدادا من اللاجئين الأرمن بدأت تهاجر إلى فلسطين وتحديدا للقدس بعد 1915 وهناك حيّ خاص بهم في المدينة. وكانت النجمة الأرمينية كيم كريدشيان قد زارت القدس قبل أيام برفقة زوجها من أجل تعميم كريمةها في كتيبة «سان جيسس».

لكن جورج هينتليان الناطق بلسان الأرمن في القدس متفائل بأن تحفّر «إسرائيل» موقفها ويرجح أن تعترف في نهاية المطاف بالمذبحة الأرمينية. وهو يجد سলوى في تصريحات رئيس «إسرائيل» رؤوفين ريفلين الذي استهل فيها خطابه في الأمم المتحدة مطلع السنة بالدعوة إلى الاعتراف بمذبحة الأرمن بعد سنوات من «التلعثم والإنكار». ويشير هينتليان برضا إلى أن هذه المرة الأولى التي يشارك فيها وفد إرلماني «إسرائيلي» رسمي باحتفالات إحياء ذكرى مذبحة الأرمن في العاصمة الأرمينية.

ويبارك هينتليان تصريحات البابا بوصفه «مرمّأ أخلاقياً كبيرا»، ويشير إلى وجود اعتراف عملي من قبل وزارات في «إسرائيل» كوزارة السياحة بمذبحة الأرمن على رغم عدم اعترافها رسميا.

من جهته، يؤكد البروفسور «الإسرائيلي» يواّف لاف المحاضري في تاريخ الأرمن في الجامعة العبرية في القدس إلى واجب «إسرائيل» الأخلاقي بالاعتراف بمذبحة الأرمن،



عبد الحميد



هرتزل

^[1] قضية درايفوس هي صراع اجتماعي وسياسي حدث

^[2] في نهاية القرن التاسع عشر في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة، كشف عنها إميل زولا عندما نشر مقاله له بعنوان «أنا

^[3] أتهم. (المرجع)

^[4] ** إيدي كوهين، باحث رفيع في قسم الدراسات الشرق

^[5] أوسلفية في جامعة «بار إيلان».